جامعة تكريت ـ كلية التربية للبنات ـ

قسم علوم القرآن والتربية الاسلامية

المرحلة الثالثة

المادة: العقيدة

عنوان المحاضرة: شفاعة النبي محمد (صل الله عليه واله وصحبه وسلم).

م.د. هيفاء عبد الله الطيف الربيعي

Abdulla.haifa٩٤٩@st.tu.edu.iq

شفاعة النبي محمد (صلى الله عليه واله وصحبه وسلم)

الشفاعة لغة: الوسيلة والطلب.

واصطلاحاً: سؤال الخير للغير: وهي مشتقة من الشفع الذي هو ضد الوتر ، فكأن الشافع ضم سؤاله إلى سؤال المشفوع له والمشفع – بكسر الفاء – الذي يقبل الشفاعة، والمشفع – بفتح الفاء – .

والشفاعة قسمان مثبتة ومنفية :

١ – الشفاعة المثبتة : وهي التي أثبتها الله تعالى لأهل الإخلاص، ولها شرطان إذن الله تعالى للشافع، ورضاه تعالى، وهما المذكوران في قوله تعالى : وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴾ [النجم : ٢٦] . وقوله سبحانه : يوميا لا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا)[طه : ١٠٩] . فيقف الشافع من الله سبحانه موقف الضارع يستنزل رحمة الله وإحسانه. فالشفاعة هذه دعاء مستجاب وسبب من الأسباب التي يرتب الله تعالى عليها المغفرة أو التخفيف أو رفع الدرجات، بدليل حديث الصحيحين وغيرهما : أن النبي ﷺ يسجد يوم القيامة، ويثني على الله تعالى الثناء يلهمه يومئذ، فيقال له : ارفع رأسك، وسَلْ تُعْطَ، واشْفَعْ تُشَفَعْ)، وليس في الشفاعة بهذا المعنى أن الله تعالى يرجع عن إرادة كان قد أرادها لأجل الشافع، بل مرد ذلك كله الإرادة الأزلية والعلم القديم .

٢– الشفاعة المنفية : هي التي تطلب من غير الله تعالى، أو بغير إذنه، أو لأهل الشرك. قال سبحانه : من قَبْلِ أَن يَأْتِي يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٥٤) .

فتفسر بأن يحمل الشافع المشفوع عنده على فعل كان قد أراد غيره، كأن يطمع ضعيف في معروف لدى عظيم، ويعتقد أنه ينوي حرمانه من معروفه، فيستشفع إليه بوجيه مقرب لديه، يحمله على أن يشمله بمعروفه وإحسانه .

والشفاعة بهذا المعنى مستحيلة بالنسبة الله تعالى، لأن المشفوع عنده كان عاقداً النية على أمر خلاف ما شفع عنده فيه، فيجي، الشفيع ويبدي له أسباباً للفعل أو الترك لم يكن عالماً بها من قبل، والله سبحانه لا يقع في ملكه إلا ما هو به عليم مريد. ولا يستطيع أحد أن يتصرف في إرادته ومشيئته . ويؤدي هذا المعنى أيضاً إلى القول بالبداء، بمعنى أن الله تعالى يبتديء تدبير

الأشياء أولاً فأولاً، ويستأنف علمها من جديد بعد أن لم يكن عالماً بها، وكل ذلك محال على الله سبحانه ..

وهذا هو الذي أنكره الله تعالى بالآيات النافية، منها :

فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾ [المدثر : ٤٨] ، يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴾ [الانفطار : ١٩]، ومن قَبْلِ أَن يَأْتِي يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ ... الآية السابقة (٢) .

أنواع الشفاعة:

ذكر العلماء أنواعاً عديدة للشفاعة المثبتة، منها :

١ – الشفاعة العظمى الخاصة بنبينا من بين سائر أخوانه من الأنبياء والمرسلين، وهي التي يشفع فيها لأهل الموقف، حتى يقضى بينهم، ويراحوا من شدة الموقف وهوله بعد أن يتدافعها الأنبياء أصحاب الشرائع آدم إلى نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام. وهي المقام المحمود. ووردت في ذلك جملة من الأحاديث الصحيحة عن جملة من الصحابة، بلغت حد التواتر .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: أتي رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلّم بلحم، فرفع إليه الذراع، وكانت تعجبه فنهس منها نهسةً ثم قال: ((أنا سيّد النّاس يوم القيامة، وهل تدرون ممّ ذلك؟ يجمع الله النّاس الأوّلين والآخرين في صعيد واحد يسمعهم الدّاعي وينفذهم البصر، وتدنو الشّمس، فيبلغ النّاس من الغمّ والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون، فيقول النّاس: ألا ترون ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربّكم؟ فيقول بعض النّاس لبعض: عليكم بآدم. فيأتون آدم عليه السّلام فيقولون له: أنت أبوالبشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا إلى ربّك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إنّ ربّي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنّه قد نهاني عن الشّجرة فعصيته، نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى نوح. فيأتون نوحًا فيقولون: يا نوح إنّك أنت أوّل الرّسل إلى أهل الأرض، وقد سمّاك الله عبدًا شكورًا، اشفع لنا إلى ربّك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول: إنّ ربّي عزّ وجلّ قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنّه قد كانت لي دعوة دعوتها على قومي، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى إبراهيم. فيأتون إبراهيم فيقولون: يا إبراهيم أنت نبيّ الله وخليله من أهل الأرض، اشفع لنا إلى ربّك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول لهم: إنّ ربّي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنّي قد كنت كذبت ثلاث كذبات– فذكرهنّ أبوحيان في الحديث– نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى. فيأتون موسى فيقولون: يا موسى أنت رسول الله، فضّلك الله برسالته وبكلامه على النّاس، اشفع لنا إلى ربّك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول: إنّ ربّي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن

يغضب بعده مثله، وإنّي قد قتلت نفسًا لم أومر بقتلها، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى. فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وكلّمت النّاس في المهد صبيًّا" اشفع لنا إلى ربّك ألا ترى إلى ما نحن فيه فيقول عيسى إنّ ربّي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله –ولم يذكر ذنبًا– نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى محمّد صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم. فيأتون محمّدًا، فيقولون: يا محمّد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر، اشفع لنا إلى ربّك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجدًا لربّي عزّ وجلّ، ثمّ يفتح الله عليّ من محامده وحسن الثّناء عليه شيئًا لم يفتحه على أحد قبلي، ثمّ يقال: يا محمّد ارفع رأسك، سل تعطه، واشفعْ تشفّعْ. فأرفع رأسي فأقول: أمّتي يا ربّ، أمّتي يا ربّ(١)[٥٢]. فيقال: يا محمّد أدخل من أمّتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنّة، وهم شركاء النّاس فيما سوى ذلك من الأبواب. –ثم قال– والّذي نفسي بيده إنّ ما بين المصراعين من مصاريع الجنّة كما بين مكّة وحمير، أو كما بين مكّة وبصرى)).

٢ – شفاعته في إدخال قوم الجنة بغير حساب، بدليل حديث عكاشة بن محصن في الصحيحين حين دعا له رسول الله ﷺ أن يجعله من السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب، وهم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون .

٤ – فيمن استحق دخول النار أن لا يدخلها، وذلك بمحض عفو الله تعالى . – في إخراج الموحدين من النار بعد انقضاء مدة المؤاخذة المقررة لهم في علم الله تعالى .

٥ – الشفعة في بعض الكفار لتخفيف العذاب عنهم .

٦ – في رفع درجاء – أناس في الجنة ...

أما النوع الأول من الشفاءة والثاني والسادس فلا خلاف فيها، وكذلك ينبغي أن لا يكون في الخامس خلاف.

لكن الخلاف في النوعين الثالث الربع، فهما اللذان تنكرهما المعتزلة . واحتجوا على إنكاء الشفاعة فيمن استحق دخول النار (وهو النوع الثالث) بما يأتي :

١ – قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ) [البقرة: ٤٨].

٢ – قوله تعالى : (مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ) [غافر : ١٨].

وأجاب الجمهور بما أتي:

١ – بأن المراد بالنفس بالآية الأولى هو النفس الكافرة، لأن مساق الخطاب معهم، والآية نزات رداً على اليهود الذين يزعمون أن آباءهم تشفع لهم. والظالمون في الآية الثانية هم الكفار، فإن الظالم على الإطلاق هو الكافر.

٢ – إن غفران غير الحفر من الذنوب بلا توبة ولا شفاعة جائز، فبالشفاعة أولى، ولأن العقاب

حقه تعالى فله أن يعفو ويصفح، وله أن يعاقب.

شفاعة غيره .

وبعد شفاعة محمد يفتح باب الشفاعة لمن ارتضاه الله، فيقول الله تعالى : يرمين لا تَمَعُ الشَّفَعَة إلا مَن أَنا لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضَى لَهُ قَوْلًا [طه: ١٠٩] أي لمن كان قوله واعتقاده لا إله الا الله محمد رسول الله ﷺ

فقال في صحيح مسلم ومسند أحد من حديث أبي سعيد الله مرفوعاً قال : فيقول الله تعالى لقصر الملايي، وشمع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا ارحم الراحمين، فبقية قبضة من النار فيه من منها قوماً لم يعملوا خيراً قط).

وردن التزيدي من أبي سعيد الخدري الله أن رسول الله ﷺ قال : «من أمتي من يشفع للقيام، ومن من يسمع للقبيلة، ومنهم .. يشفع للعصبة، ومنهم من يشفع جل حتى يدخلوا الحنة .

وروى أبو دار من البي الدرداء له عن أبي قال : يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته.

حكمة الشفاعة:

والحكمة من الشفاعة تكريم الشافعين، ورفع شؤونهم على رؤوس الأشهاد وإفاضة الكرم الإلهي على المشفوع له.

وليس القول بالشفاعة إعداد الناس للجرأة والجسارة على المعاصي، كما توهمه البعض .

لأنه ليس في علم أي شخص أنه يشفع له، حتى يكون ذلك جالباً لإقدامه عليها شفاعة محمد (صل الله عليه واله وصحبه وسلم).